المتفلسفتان السخيفتان

أشخاص المسرحية

لاكرانْج	:	عاشقان مرفوضان.
دي كرْوَازي	:	
كورْجيبوس	:	رجل ميسور صالح.
مكْدَلون	:	ابنة كورْجيبوس.
كاتوس	:	ابنة شقيق كورْجيبوس.
ماروت	:	خادمة المتفلسفتَيْن السخيفتَيْن.
ألْمنْزور	:	خادم المتفلسفتَيْن السخيفَتَيْن.
المركيز مسْكاريّ	:	خادم لاكرانْج.
الفيكونْت جوذْلي	:	خادم دي كرْوَازي.

حاملا مقعد نقّال

جيران

عازفو الكمان

فصل واحد
المشهد الأول

لاكرانْج ودي كرْوَازي

دي كرْوَازي : مولاي لاكرانْج.

لاكرانْج : ماذا تريد ؟

دي كرْوَازي : انظر إليّ قليلاً بدون ان تضحك.

لاكرانْج : لأي سبب ؟

دي كرْوَازي : ما رأيك في زيارتنا ؟ هل أعجبتك كثيراً ؟

لاكرانْج : هل ترى علامة الرضى على محياي ؟

دي كرْوَازي : في الحقيقة، ليس تماماً.

لاكرانْج : من جهتي، انا أعترف بأني غير مرتاح. قل لي هل شاهدت في حياتك غبيّتَيْن من الأرياف تقدّران نفسيهما اكثر ممّا تساوي هاتان المرأتان، ورَجُلَيْن يُعامَلان باحتقار اكثر منّا نحن الاثنَيْن ؟ إنهما لم تتنازلا الى تقديم مقعدين لنا كي نجلس عليهما. أنا لم أبصر طوال عمري مرأتين تتهامسان كما فعلتا، وتتثاءبان مللاً، وتفركان عينيهما من شدة النعاس، وتسألان بقلّة صبر عدة مرار « كم هي الساعة الآن » ؟ وهل أجابتا بغير نعم ولا على جميع ما قلناه لهما ؟ أوَلا تُقرّ أخيراً بأننا لو كنّا أحط خلق الله في الدنيا لما أُسيئت معاملتنا كما فعلتا بنا ؟

دي كرْوَازي : يبدو لي انك متأثّر جداً بذلك.

لاكرانج : بدون شك، انا منزعج الى حدّ جعلني أُصمّم على الانتقام من هذه الوقاحة الزائدة. أنا أعلم لماذا استخفّتا بنا هكذا. لأن التفلسف والعجرفة لم يتفشيا فقط في باريس بل انتشرا ايضاً في سائر المناطق، وهاتان المرأتان المغرورتان قد استوفيتا اكثر من حصّتهما من هذه الآفة. بكلمة أُعلن لك صراحةً ان طبعهما مزيج من الغنج والإدّعاء. وأنا لا أجهل كيف كان عليهما أن تستقبلانا. صدقني، يا صاح، يجب علينا أن نقابلهما كلانا بما تستحقّانه من الازدراء، ونبيّن لهما حماقتهما، لكي تعرفا قيمة من تحتكّان بهم من الاشخاص المحترمين.

لاكرانج : لديّ خادم يُدعى مسكاريّ، يعتبره أغلب عارفيه أنه من أمهر المتحذلقين. وهذه صفة كثيرة الرواج في هذه الأيام. هو رجل متهوّر يظنّ ذاته رفيع المستوى ويتشبّث بأناقته ويلقي الأشعار جذافاً ويزدري بسائر زملائه الخدم، ولا يتورّع عن نعتهم بالبلادة والغباء.

دي كرْوَازي : اذاً، ماذا تنوي ان تفعل ؟

لاكرانج : ماذا أنوي أن أفعل ؟ ... لا بد من ردة فعل عنيفة ... أوّلاً، تعالَ نخرج من هنا، لأني أكاد أختنق.

المشهد الثاني

كورْجيبوس ودي كرْوَازي ولاكرانج.

كورْجيبوس : لقد التقيتَ بابنتي وبابنة اخي. فهل تظن أن الأمور ستسير على ما يرام ؟ وما هي النتيجة التي تتوقّعها لزيارتك اياهما ؟

لاكرانج : هذه مسألة يتسنى لك أن تفهمها منهما اكثر منّي. كل ما استطيع ان اقوله لك هو أنني اشكرك على المعروف الذي اسديته اليّ، وأنا مستعد لتأدية أية خدمة تطلبها منّي.

كورجيبوس (على حدة) : يبدو لي أنهما ليستا راضيتَيْن على ما جرى لهما هنا.

لكن، ما الذي سبّب امتعاضهما، يا ترى ؟ عليّ، بأية وسيلة كانت، أن اعرف ما لقيتاه ... يا هذا.

المشهد الثالث

ماروت وكورجيبوس

ماروت : ماذا تريد، يا سيدي ؟
كورْجيبوس : أين سيدتاك ؟
ماروت : في حجرتهما، يا سيدي.
كورْجيبوس : ماذا تفعلان ؟
ماروت : تدهنان شفاههما مرهماً.
كورْجيبوس : ما بالكِ تدارينهما ؟ قولي لهما أن تنزلا. (وحده) هاتان الخبيثتان تقصدان خراب بيتي بهذا المرهم، على ما أرى. ففي كل مكان لا أجد إلّا بياض البَيْض والحليب الدسِم، وألف صنف آخر لا أدري ما هو. ولقد استهلكتا منذ أن أتينا الى باريس دهن عشرة خنازير على الأقلّ ومن قوائم الغنم ما يكفي لإطعام اربعة خدّام.

المشهد الرابع

مكْدلون وكاتوس وكورجيبوس.

كورْجيبوس : هل من ضرورة حقّاً لكل هذه المصاريف كي تدهنا شدقيكما ؟ قولا لي ماذا فعلتما بهذين السيدَيْن حتى أبصرتهما يخرجان من هنا بمثل هذا البرود ؟ أوَلم أوصيكما بأن تستقبلاهما بلياقة كمرشّحَيْن للاقتران بكما ؟

مكْدَلون : وبأي إعتبار تريد، يا والدي، أن نقابلهما ؟ هل توافق على ان نخصّهما بأسلوب غير مألوف ؟
كاتوس : ما هي الوسيلة المعقولة التي يتسنى للفتاة ان تلجأ اليها، يا عماه، لإرضاء فضول مثل هذين الضيفَيْن ؟
كورْجيبوس : بماذا يمكنك أن تصفيهما ؟
مكْدَلون : لا أظنهما في منتهى الظرف والكياسة. مع ذلك، هل ترى مناسباً ان يبادرا فوراً الى مفاتحتنا بالزواج بدون مقدّمات ؟
كورْجيبوس : وبماذا تريدان أن يفتتحا حديثهما ؟ أوليست هذه طريقة محمودة في نظركما، كما أجدها أنا أيضاً ؟ هل هناك أَلْطف من التطرّق الى مثل هذا الموضوع الشيّق ؟ أولا تريان في هذا الرباط المقدس، أقصد وثاق الزواج الذي تحلمان به، دليلاً كافياً على نواياهما الشريفة ؟
مكْدَلون : ان ما تتفوّه به، يا ابي، لهو من مستوى ادنى الشبان الميسورين. انا اخجل من هذا الكلام المبتذل، وعليك أن تستخدم اسلوباً آخر يليق بالمقام.
كورْجيبوس : انا لا تهمّني اللياقة ولا الكياسة. إعلمي أن الزواج فريضة مقدسة. ولا أجد أشرف من المبادرة الى التحدّث في موضوعها.
مكْدَلون : يا إلهي. لو كان كل الناس على شاكلتك لانتهت القصص بسلام. ولما كانت خاتمتها أروع من أن يقترن روميو بجولييات وقيس بليلى.
كورْجيبوس : ماذا تثرثرين، يا مهووسة ؟
مكْدَلون : يا ابي، هذه ابنة عمي تؤكد لك ما تلفّظت أنا به، وهو أن الزفاف لا يمكن أن يتمّ قبل غيره من المغامرات. فعلى العاشق الولهان، لكي يكون مرغوباً ان يتقن ابداء أرقّ العواطف وإبراز أعذب ما في قلبه من طيبة وحنوّ وشوق، وأن لا تتعدّى محاولاته الشكليّات. ثم عليه أن يلتقي في المعبد أو في المتنزّهات أو في الحفلات العامة تلك الرفيقة التي يقع في هواها. وأن يجمعه بحبيبته أحد أنسبائه أو أصدقائه، وأن يغادرها وهو حالم كئيب من جرّاء فراقها. وعليه أن يكتم بعض الوقت أشواقه الى عروس أحلامه، ومع ذلك أن يزورها بتواتر وان لا يدع فرصة تفوته لمفاتحتها بغرامه بطريقة لبقة يلجأ اليها كل متحذلق طلق اللسان. اما البوح بهيامه فلا بد من ان يتمّ في ممشى حديقة

غنّاء بعيداً عن عيون الرقباء وآذانهم، ولا يلبث أن يُتبع هذا التصريح بقليلٍ من الاضطراب والاحمرار حياءً يدوم فترة، ثم ينسحب المتيّم ويتوارى قليلاً عن الأنظار. اخيراً ان يجد سبيلاً الى اعادة الصفاء الى قلبها ويكرّر عليها بهدوء مناجاة هيامه ويستدرجها الى الاعتراف بحبها الدفين وإنْ صعب عليها كشف مكنونات صدرها. وفي نهاية المطاف يأتي دور المغامرات، اذ تزول الكلفة والممانعات وتنكشف اسرار الميول الحقيقية بدون أن يأبه احدهما الى تحفّظات الأهل والى بوادر الغيرة المبنيّة على الظواهر الخدّاعة، والى الشكوى واليأس والصدّ الذي قد يلي كل ما سبق. هكذا يجب ان تجري الأمور، وهذه هي قواعد اللياقة التي لا يستغني عنها كل عاشق لطيف ظريف يرغب في اقتناص القلوب. لكن اقتحام موضوع القران بدون تلميحات ومقدّمات، وعدم ممارسة حقوق الزواج إلا بعد الارتباط الرسمي بالمواثيق والعهود، وبدء القصة من أواخر مراحلها، فهذا غير معقول ولا مقبول إطلاقاً. هناك نقطة أخرى هامة، يا والدي. لا يغربْ عن بالك أن طريقتك هي محض تجارية، ويزعجني مجرّد التفكير بتفاصيلها الكئيبة.

كورْجيبوس : ما هذا الكلام البذيء الذي اسمعه من فمك، يا ابنتي ؟ هل تعتبرين مثل اسلوبكِ رفيع المستوى ؟

كاثوس : اجل، يا عمي، فقد دخلت ابنتك رأساً الى صلب الموضوع. وطريقتها في استقبال مثل هذين البليدَيْن الثقيلَيْ الظلّ هي الأنسب لإيقافهما عند حدهما. وأنا على يقين بأن خصال الرقّة واللطف والتنميق والشاعرية بعيدة كل البعد عمّا يمتازان به من خشونة الطبع والكلام، وجفاف القريحة أيضاً. أولا ترى ان جبلتهما السمجة تنمّ عن كل ما ذكرته لك الآن من اوصافهما، وما يلمسه فيهما سائر المحنّكين. فإن زيارتهما كعاشقَيْن بهندام بعيدٍ عن الاناقة، وقبعة خالية من الريش، ورأس أصلع، إنحسر عنه الشعر، ولباس عادي يفتقر الى زهو الأشرطة، كلها لا تدل على ذوق مميَّز. يا الهي، الى أي صنف من العشاق ينتمي هذان الزائران الغريبا الأطوار، يا ترى ؟ انهما يفتقران الى النعومة وطلاوة الحديث. حقّاً لا سبيل الى هضم تصرفاتهما. وعلاوة على ما ذكرت، أُضيف ان قبّة قميص كل منهما واسعة على رقبته وليست مصنوعة

على قياسه بيدَيْن بارعتَيْن، كما أن حذاءه القذِر أوسع من قدمه ومصنوع بدون مهارة ومن أرخص الجلود.

كورْجيبوس : أعتقد أنكما كلتاكما مهووستان، ولن أتوصّل الى فهم كلمة واحدة ممّا تدّعيان أنتِ كاثوس وابنة عمّك مكْدلون ...

مكْدَلون : ارجوك، يا والدي، ان لا تعود الى استعمال هذين الاسمَيْن الغريبَيْن، وان لا تلصق بنا ما ليس فينا.

كورْجيبوس : ماذا تعنين بالاسمَيْن الغريبَيْن ؟ أَوَلَسْتُما هكذا تُدعيان منذ أن أبصرتما النور ؟

مكْدَلون : يا إلهي، ما هذا الكلام السَمِج ؟ ان ما استغربه منك، هو كيف امكنك أن تنجب ابنة ذكية الجنان نظيري ؟ هل في الكون من لَم يُعجب بأسلوب حديثنا نحن الاثنتَيْن مكدلون وكاثوس ؟ هل يسعك أن لا تعترف بأن مجرّد هذين الاسمَيْن يستحقان أن يكونا موضوع أروع القصص في الكون ؟

كاثوس : حقاً، يا عماه، لا سبيل لأُذُنٍ مرهفة السمع أن لا تستسيغ رنّة هذين الاسمَيْن الرخيمَيْن. أولا تجد مثلنا أن اسم بوليكسين الذي اختارته ابنة عمي، واسم آمَنْتْ الذي إخترته أنا كرديفَيْن لإسمينا الأصليَّيْن هما من أعذب الأسماء التي ترتاح الاذن الى سماع تكرارهما باستمرار ؟

كورْجيبوس : أنْصتا اليّ. ليس هناك سوى كلمة واحدة مفيدة، هي أني لا أريد ان اسمع غير اسميكما الحقيقيَّيْن الذين اختارهما لكما عرّابكما وعرّابتكما. ولن تذكرا سواهما لهذين الشابّين اللذَيْن اتينا على ذكرهما. فأنا أعرف جيداً إسرتيهما وأُصرّ على ان تستقبلاهما من الآن وصاعداً كمرشحَيْن لزواجكما. لأني تعبتُ من الاحتفاظ بكما كفتاتَيْن برسم الزواج أو عانستين على نفقتي، وانا بتُّ رجلاً طاعناً في السنّ.

كاثوس : انا، يا عماه، لا يسعني أن أقول لك سوى اني أجد الزواج وثاقاً مزعجاً.

مكْدَلون : ألَا تودّ أن تمنحنا الوقت اللازم كي نختلط بالمجتمع الراقي في باريس حيث وصلنا منذ برهة وجيزة ؟ دعنا ننسج على ذوقنا قصة حياتنا ولا تدفعْنا الى بلوغ مرارة خاتمتها قبل الأوان.

كورجيبوس (**على حدة**) : لا سبيل للشك في أنهما مهووستان. (بصوت مرتفع) لا يزال لديّ اعتراض آخر. انا لا أفهم كل هذه الخزعبلات، وأُصرّ على ان اكون هنا السيد المطاع. ولكي نضع حدّاً لكافة هذه المناقشات العقيمة، أخيّركما بين الزواج والذهاب الى الدير بدون إمهال. وأقسم أن لا مناص لكما من اللجوء الى أحد هذَيْن الحلَّيْن.

المشهد الخامس

كاثوس ومكدلون

كاثوس : يا الهي. دعيني، يا عزيزتي، أصرّح لك بأن والدك متشبّث بأفكاره القديمة وأنه محدود الذكاء، لا يرى صالحنا بوضوح.
مكْدَلون : ماذا تريدين أن افعل، يا عزيزتي ؟ أنا مرتبكة بسبب نظرته الضيّقة الى واقع الحال. وأنا لا أجد سبيلاً لاقناع نفسي بأني فعلاً ابنته، بل أترقّب بفارغ الصبر على الدوام أوّل مغامرة تتيح لي أن أُولد من جديد في محيط ارقى وأوسع مجالاً من الذي أعيش فيه.
كاثوس : أنا من رأيك يا ابنة عمي. أجل، لأنكِ تتمتّعين بكل مزايا المجتمع الرفيع المستوى، وهذا هو في الواقع شأني انا ايضاً ومنى قلبي.

المشهد السادس

ماروت وكاثوس ومكدلون.

ماروت : ها هوذا خادم يسأل إن كنتِ باقية في البيت، ويقول ان سيده يودّ أن يأتي ليزورك.
مكْدَلون : تعلّمي، يا حمقاء، ان تعبّري عن فكرك بأسلوب أقلّ بذاءة، وقولي

لي مثلاً، ها هوذا شخص يسأل إن كان في الإمكان أن يتمتّع بمشاهدتك ؟
ماروت : أعذريني، يا سيدتي، فأنا لا أفهم اللغة اللاتينية، لأني لم اتعلم الفلسفة نظيرك في المعهد العالي.
مكْدَلون : تبّاً لوقاحتك التي لا تطاق. ومن هو سيد هذا الخادم ؟
ماروت : لقد ذكره لي، وهو يُدعى المركيز مسكاري.
مكْدَلون : آه، يا عزيزتي، أهو مركيز ؟ هيّا إذهبي وأبلغيه أنني على أتم الاستعداد لاستقباله. لا بد من أن يكون رجلاً فطناً سمع بذكرنا.
كاثوس : بدون شك، يا عزيزتي.
مكْدَلون : الأفضل أن نستقبله في هذه القاعة السفلى، من أن ندخله الى مخدعنا. سأرتّب شعري على الأقل، واتصرّف حسب مقامنا. عجّلي، يا ماروت، وناوليني المرآة لأرى إن كان مجمل هندامي على ما يرام.
ماروت : بذمّتي، لا ادري من هو المغفّل الواقف ها هنا. يتحتم عليك أن تتحدثي بطريقة لائقة اذا شئت ان أفهم كل كلامك.
كاثوس : إجلبي لنا المرآة، يا جاهلة. وإياكِ ان توسّخي زجاجها بالنظر الى صورتكِ على صفحتها. (يخرجن).

المشهد السابع

مسكاريّ، وحاملا المقعد النقّال.

مسكاري : ايها الحاملان، قِفا في مكانكما. أظن أن هذين الغبيَّين ينويان كسر ضلوعي لشدة ما يرتطمان بالجدران وبأرض الطريق.
الحامل الأول : اعذرني، يا سيدي. فالشارع ضيّق، وأنت اصررت على دخولنا بالمقعد النقّال حتى هذا المكان.
مسكاري : أعتقد بأن ذلك من حقي. هل تريدان، ايها الوغدان أن تعرّضا

جسمي الى رياح الموسم الماطر، وحذائي الى التلوّث بالأوحال ؟ هيا أبعدا هذا المقعد النقّال من هنا.

الحامل الثاني : ارجوك أن تدفع لنا أجرنا، يا سيدي.

مسكاري : ماذا تقول ؟

الحامل الثاني : انا أطلب، يا سيدي، أن تدفع لنا اجرنا، إن شئت.

مسكاري (**يصفعه**) : كيف تطلب مالاً، ايها الوقح، من شخص في مستواي ؟

الحامل الثاني : أهكذا لا يُدفع اجر المساكين أمثالنا ؟ وهل سيادة من في مستواك يستضيفنا الى مائدته عندما نشعر بالجوع ؟

مسكاري : سأعلّمكما كيف تلتزمان حدّكما. لم يكن ينقصني إلّا أن يتطاول لئيمان نظيركما على كرامتي.

الحامل الأول (**يرفع أحد قضبان المقعد النقال**) : تَفَضَّلْ وادفع لنا أجرنا حالاً، وإلّا ...

مسكاري : ماذا تقصد ؟

الحامل الأول : أريد أن أقبض أجري وأن يقبض زميلي ايضاً اجره حالاً وسريعاً.

مسكاري : هل هذا معقول ؟

الحامل الأول : هيّا، إدفع باستعجال قبل أن أحطّم ...

مسكاري : أجل، أجل. ها أنت الآن تتكلّم لغة مفهومة. أمّا زميلك فأبله لا يعرف ماذا يقول. خذ، هل أنت مسرور ؟

الحامل الأول : كلا، أنا لست راضياً، لأنك صفعتَ رفيقي ... (يرفع القضيب الذي يمسك به).

مسكاري : مهلاً، مهلاً. هذا ايضاً للتعويض عن الصفعة. لا احد يحصل مني على ما يريد إلّا اذا خاطبني بهذه الطريقة المقْنِعة. بعد برهة، ارجوكما ان تعودا اليّ لكي تحملاني وتذهبا بي الى قصر اللوفر، قبل مغيب الشمس بقليل.

المشهد الثامن

ماروت ومسكاري.

ماروت : يا سيدي، معلّمتاي تأتيان بعد لحظة.
مسكاري : لا داعي للعجلة. فأنا مرتاح في جلوسي ها هنا، لانتظار قدومهما.
ماروت : ها هما قد وصلتا.

المشهد التاسع

مكدلون وكاثوس ومسكاري وألْمنْزور.

مسكاري (**بعد أن أدّى التحية**) : يا سيدتاي، ستدهشكما بدون شك زيارتي الجريئة. غير أن شهرتكما الواسعة جرّت عليكما هذا الازعاج. وللاستمتاع بمثل هذه الزيارة، هناك جاذب قويّ لا يقاوم جعلني أسارع اليكما أينما كنتما.

مكْدَلون : اذا كنت تسعى دائماً وراء الاستمتاع، فليس لك أن تقتحم أرضنا لتقتنصه عنوةً.

كاثوس : ولكي تجد عندنا ما تبتغيه من هذا الاستمتاع، كان عليك بكل بساطة ان تصطحبه معك.

مسكاري : انا اعترض على كلامك هذا. لأن الشهرة تدل دلالة أكيدة على مكانة صاحبها. وانا قَدِمْت الى هنا لألتقي بربّات الظرف والكياسة في باريس.

مكْدَلون : مسايرتك تخطّت حدود المديح النزيه. وأنا وابنة عمي لا نحُجم عن اطلاق العنان لتساهلنا لقاء حلاوة ثنائك المغرِض.

كاثوس : يا عزيزتي، ألّا يجمل بك أن تدْعيني الى الجلوس أوّلاً ؟

مكْدَلون : هيا، يا ألمنْزور.

ألْمنْزور : نعم، يا سيدتي.

مكْدَلون : أمّن لهذا الضيف بسرعةٍ مقعداً يريحه اثناء المحادثة.

مسكاري : لكن، على الأقل، هل يسعني أن أكون في مأمن ها هنا ؟ (يخرج ألمنْزور).

كاثوس : ماذا تخشى عندنا ؟

مسكاري : ان يُسرق مني قلبي، وأن تُستغلّ صراحتي. لأني أشاهد حولي عيوناً تبرق فيها الفتنة ويلمع الدهاء. وأخاف أن تُمتهن حريتي وتُداس كرامتي كما عامل العثمانيون في قديم الزمان اعداءهم البرابرة. لعمري حالما يدنو منهما احد تراهما تدافعان عن نفسيهما بشراسة وضراوة. وانا كذلك أودّ أن أهرب، إلا اذا توفّرت لي الضمانات بأن لا ينالني أيّ أذى.

مكْدَلون : يا عزيزتي، أرى أن هذا الرجل صاحب مزاج مرح.

كاثوس : وانا لا استبعد عنه هذا الميل المستحبّ.

مكْدَلون : لا تخشَ سوءاً، ايها الشاب، فإن لَحْظَيْنا لا يضمران لك أي ضرر، وفي وسع فؤادك ان يثق بشرفنا وأمانتنا وانسانيّتنا.

كاثوس : لكن، ارجوك، يا سيدي، أن لا تنظر بحذر الى هذا المقعد الوثير الذي يفتح لك ذراعيه بأمان ليضمّك على الرحب والسعة مدة ربع ساعة، فَتَكَرَّم بإرواء شوقه الى شخصك الظريف.

مسكاري (**بعد مَسْد شعره وإحكام أشرطة سرواله**) : والآن ما هو رأيكما، يا سيدتاي، في مدينتنا باريس ؟

مكْدَلون : يا للدهشة، ماذا يمكننا ان نقول ؟ لا بد للانسان من أن يكون خالياً من كل منطق سليم لكي لا يعترف بأن باريس مستودع العجائب ومركز الذوق الرفيع ومجلى الأناقة والكياسة.

مسكاري : من جهتي، انا أعتقد جازماً بأن خارج باريس لا وجود للهناء في نظر الناس الشرفاء المدركين.

كاثوس : هذه حقيقة ثابتة لا سبيل الى نقضها.

مسكاري : لا يُنكر ان فيها بعض الأقذار. غير أني أتجول دائماً بواسطة المقعد النقّال.

مكْدَلون : لا شك في أن هذا المقعد النقّال يقي من أوساخ الوحل اثناء رداءة الطقس الممطر.
مسكاري : هل تتلقّين العديد من الزيارات ؟ ومَن مِن ذوِيك يتمتّع بذهن لامع ؟
مكْدَلون : يا للأسف، نحن لا نزال غير معروفين هنا. لكننا على وشك أن ننشئ علاقات حميمة من خلال صديقة مخلصة وعدتنا بأن تجلب الى هنا جميع سادة « ندوة المسرحيات المختارة».
كاثوس : وغيرهم ايضاً ممّن عدّدتهم لنا كخبراء في الروائع الأدبية.
مسكاري : انا من هذه الناحية استطيع أن اقدم لكما خدمات جُلّى في هذا المجال. لأن جميع هؤلاء الخبراء يزورونني بانتظام. ويسعني أن أؤكد لكما أن لقاءاتي تضمّ على الأقل ستة من اصحاب الفطنة والذكاء الخارق.
مكْدَلون : لعمري، سنكون لك من الشاكرات اذا أمّنت لنا مثل هذه الصداقات الممتازة. اذ لا بد لنا، اذا أردنا انشاء علاقات في هذا الوسط الرفيع المستوى، من التعرّف الى هؤلاء الرجال المرموقين. لأنهم اضمن سبيل لاكتسابنا الشهرة التي نتوق اليها في اوساط باريس الراقية. وأنت تعلم ان صحبتهم تفسح لنا المجال لتأمين المعاشرة والاختلاط بالشخصيات وزيادة المعلومات، فنصبح هكذا من المعروفات بسعة الاطلاع. لكن بالنسبة اليّ، أنا أعتبر بصورة خاصة أن هذه الزيارات الثقافية تسمح لنا أيضاً باكتساب الف معرفة تقضي الضرورة بالالمام بها لأنها أساس انفتاح الذهن على آفاق جديدة في كافة القضايا الجوهرية. وبهذه الوسيلة نطّلع كل يوم على اطرف الأنباء وعلى اروع المساجلات النثرية والشعرية. وعلى سبيل المثال، نعلم « ان فلاناً ألّف افضل مسرحية في العالم عن الموضوع الفلاني، وان فلانة وضعت كلمات للحن الشهير المتداول، وان هذا نظم قصيدة غزل حول نعيم الملذات، وأن ذاك دبّج مقاطع صارمة عن الخيانة الزوجية، وان السيد فلان وجّه بالأمس بعض ابيات الى الآنسة فلانة وانها ارسلت له بدورها الردّ هذا الصباح حول الساعة الثامنة. وان هذا المؤلف صمّم على وضع كتاب جديد، وذلك وصل الى القسم الثالث في تأليف روايته، وان غيره سلم مخطوطه الى

المطبعة لنشره ». في الحقيقة، هذه الأخبار تضفي على اصحابها قيمة واعتباراً في المجتمع واذا تجاهلنا هذه الخاصّة لا يسعنا أن ننظر بإعجاب الى أي ذهن خلّاق، يودّ أن يلمع تحت سماء باريس في فن الكتابة.

كاثوس : فعلاً، انا اجد أن تبجّح المرء استعلاء سخيف، لا سيما اذا كان غير قادر على نظم اليسير من الأبيات كل يوم. وفي نظري انا، ارى كل معايب الدنيا تكمن في طرح السؤال عليّ عما اذا كنت شاهدت امرأ جديداً لم أبصره ابداً في حياتي، لأن حب الاستطلاع يستأثر بكل نشاطي.

مسكاري : حقاً ليس من شائبة أفظع من أن لا يطّلع الانسان على جميع ما يجري حوله في هذا العالم المتطوّر. لكن، لا تهتمّي للأمر، فأنا مستعدّ لأن استقطب حالاً مجمع الرجال الظرفاء في منزلك، وأعدك بأن لا ينظم افراد هذا المجمع بيت شعر واحد في باريس بدون أن أدعك تعرفين غيباً كافة الأبيات الأخرى. أمّا أنا فكما ترينني لا أتردّد لحظةً عن المساجلة ساعة اشاء. ولن تلبث ان تنتشر في شوارع باريس مئتان من الأغاني الجديدة المحبّبة، ومثلها قصائد عصماء، ثم اربعمئة بيت مدح وذم، واكثر من الف بيت شعر غزل فضلاً عن قصائد الوصف والأحاجي.

مكْدَلون : صدّقني، إني أعشق كل قصائد الوصف ولا أجد شعراً أرقّ منها.

مسكاري : صدقيني انت ايضاً ان قلت لك ان قصائد الوصف عسيرة وتتطلب خيالاً خصباً وتعبيراً عميق الفحوى، وانا لديّ منها ما يذهلك وينال اعجابك حتماً.

كاثوس : اما أنا فأميل كثيراً الى الأحاجي.

مسكاري : لأنها تنمّي سرعة الخاطر وقد نظمتُ منها اربعاً هذا الصباح بالذات. وسأرسل لك بعضها لتَحلّيها وتكتشفي مغازيها.

مكْدَلون : ليس اروع عندي من قصائد الغزل حين تكون موفقة الحبكة.

مسكاري : في هذا المجال عينه تجود قريحتي، وأنا الآن انظم قصيدة مطوّلة عن تاريخ الرومان الحافل بالمغامرات الغرامية.

مكْدَلون : طبعاً ستأتي أبياتك في منتهى الرقة والابداع. فأرجوك عندما تطبعها ان تزوّدني بنسخة من ديوانك الشعري هذا.

مسكاري : أعدك بأن أخصّك بنسخة من جميع منشوراتي التي أنوي ان اجعل تجليدها في غاية الاتقان، وإن فاقت تكاليفها إمكانيّاتي المادية. لأني افضّل ذلك لكي أتيح مجالاً أوسع لربح الناشرين والموزعين الذين لا يلبّون رغباتي بسهولة كما أشاء.

مكْدَلون : أعتقد أن ليس من لذة تفوق رؤية المرء مؤلفاته مطبوعة.

مسكاري : بدون شك. لكن، على ذكر المطبوعات، لا بد لي من أن أُعلمكِ بخبر مفاجئ عن نخبة من الأشعار ارتجلتها وانا في زيارة إحدى الدوقات من اصحابي، ولا أخفي عنكِ أني مغرم بمثل هذه الارتجالات.

كاثوس : حقاً، الارتجال هو حجر الزاوية لدى الأذهان المبدعة.

مسكاري : اسمعي اذاً :

مكْدَلون : كلّي آذان صاغية.

مسكاري :

لم أكن آبه لما يجري حولي
حين أبصرت عيونك كاللآلي
وحانت منك لفتة أسرت فؤادي،
فصرخت لا أبغي نجدة، وقد نلت جلّ مرادي.

كاثوس : يا الهي، ما اروع هذا الغزل الرقيق.

مسكاري : كل ما انظمه ينمّ عن روح الفروسية، ولا يمتّ بأية صلة الى التبجّح واللغْو.

مكْدَلون : طبعاً أنت بعيد جداً عن الأسفاف وحبّ الظهور.

مسكاري : هل لاحظت جمال هذا المطلع : « لم أكن آبه ».

مكْدَلون : اجل، أجده في غاية السلاسة.

مسكاري : أعتقد بأنه لا يستحقّ كل هذا الاعجاب.

كاثوس : يا الهي. ماذا تقول ؟ في الحقيقة، ليس أبلغ من تعبيرك هذا.

مكْدَلون : بدون شك، كأنه مطلع ملحمة بطولية.

مسكاري : لعمري إن ذوقكِ ممتاز.

مكْدَلون : انا أعلم أن ذوقي سليم وحسّي مرهف.

مسكاري : بربّك، ألَا يعجبك ايضاً تعبيري : « أبصرت عيونك كاللآلي ». انه حقاً وصف بارع. ثم تعبيري : « لفتة أسرت فؤادي ». وتعبيري الآخر : « هذا جلّ مرادي ». وكلها تشير الى أني بدون أن أقصد استرعاء الانتباه، قد نلت من التقدير أحلى ما أتمنّى.

كاثوس : فعلاً اجد نظمك موفقاً للغاية.

مسكاري : وتعبيري هذا : لا أبغي نجدةً، يدل على شدة شغفي، كأني مغتبط بوقوع فؤادي في الأسر.

مكْدَلون : كلها صِيَغ لا أرقّ ولا أحلى من وقعها في النفس.

مسكاري : اجمالاً، هناك انسجام ملحوظ وتماسك ملموس في سبك المعنى والمبنى معاً.

مكْدَلون : أولست من رأيي في هذا المجال ؟

مسكاري : ليتك تسمعين اللحن الذي ابتكرته لمرافقة انشاد هذه الرائعة.

كاثوس : هل تتقن الموسيقى ايضاً ؟

مسكاري : انا ؟ لا، لا، لست استاذ النغم.

كاثوس : وكيف لحّنتها اذاً ؟

مسكاري : النوابغ، كما تعلمين، يلمّون تقريباً بكل العلوم والفنون، بدون تكبّد عناء دَرْسها.

مكْدَلون : هذا طبيعي، يا عزيزتي.

مسكاري : انصتي وصارحيني إن استذوقتِ هذا اللحن. ولا تنسي أن سرعة تبدّلات الطقس قد أثّرت على اوتار حنجرتي. لكن هذا لا يهمّ كثيراً، فالجوهر هو النغم بحدّ ذاته وطريقة ادائه. (ينشد).

كاثوس : ما اعذب هذا اللحن الشيّق الذي يسحر الألباب.

مكْدَلون : حقاً، ان في هذه النبرات رخامة فريدة من نوعها.

مسكاري : التقلبات الصوتية هي التي تلفت الانتباه الى شجو هذه النبرات، وتأخذ بمجامع القلوب.

مكْدَلون : انها برهان ساطع على حسّ مرهف جداً. لأن انسجامها الشامل يطرب ارواح السامعين.

كاثوس : لم يبلغ اذني قبلاً أي نغم بهذا الجمال.
مسكاري : ان كل ما أُقدِم على نظمه من أشعار، وتأليفه من ألْحان يأتيني عفواً بدون اي جهد أو تكلُّف.
مكْدَلون : انا أعترف بأن الطبيعة كأمّ حنون قد جادت عليك بفيض من المواهب النادرة كأنك ابنها المدلّل.
مسكاري : هل لي أن أعرف كيف تقضين اوقات فراغك ؟
كاثوس : انها لا تنتج أي عمل ملحوظ.
مكْدَلون : لأننا مررنا مؤخراً بمرحلة صيام تام منقطعين عن كل نشاط وتسلية.
مسكاري : انا مستعد لأن أصطحبكما معي في يوم من الأيام، إن شئتما، الى المسرح حيث تُقدّم تمثيلية جديدة يسرّني أن أشاهدها برفقتكما.
مكْدَلون : هذا ليس بمرفوض.
مسكاري : غير أني أسألكِ ان تصفّقي كما يجب عندما نكون هناك، لأني تعهّدت بأن أروّج للمسرحية، وقد جاءني مؤلفها اليوم صباحاً يرجوني أن أقوم بهذه المهمّة. وهذه من عاداتنا نحن رجال المستوى الرفيع. فالمؤلّفون يقصدوننا ليقرأوا علينا مسرحيّاتهم الجديدة ويبيّنوا لنا مواطن طرافتها وتشويقها، كي نؤمّن لها الدعاية اللازمة لنجاحها. وهنا أتركك توقنين بأننا حين نُعلن رأينا لا يجرؤ المشاهدون العاديّون أن يعارضونا. من جهتي انا شديد الدقة في هذا الموضوع، وعندما أَعد احد الشعراء بمساندته أصرخ عالياً : « هذا مظهر رائع يتجلّى فيه الجمال، امامه لا بدّ من اضاءة الشموع تقديراً وإعجاباً ».
مكْدَلون : لن تمعن في المديح كثيراً، فهذه باريس التي تستحقّ كل إطراء، وتحت سمائها تتمّ كل يوم مئات الإنجازات الجبارة التي تجهلها المناطق مهما حوت من الأذهان المتوقّدة.
كاثوس : كفى. وبما انّنا من المثقّفات سنقوم بواجبنا فنهتف ونصفّق كما يليق بالمقام.
مسكاري : لست ادري إن كنت مخطئاً حين أقول اني ارى على محياكما مسحةً تشير حتماً الى كونكما قد اشتركتما في بعض النشاطات المسرحية.

مكْدَلون : ليس مستغرباً أن نكون قد قمنا بمثل هذه الأعمال المشكورة.

مسكاري : لذا لا بد لي من أن أشاهد براعتكما. ولا اخفي عنكما أني ألّفت مسرحية سرعان ما أسعى الى تقديمها على المسرح.

كاثوس : ومَن من الممثلين تريد أن تكلف بتأدية ادوارها ؟

مسكاري : هذا سؤال وجيه. طبعاً سألجأ الى كبار الفنّانين، لأنهم وحدهم دون سواهم أهلٌ لإنتاج ما يستحق التقدير. أما المتطفّلون فليسوا إلّا جهلة لا يجيدون الالقاء بل يسردون الوقائع كأنهم يتكلّمون في الشارع، ولا يحسنون إلقاء الأشعار ولا يتقنون الوقف عند الاقتضاء لإبراز قيمة الأبيات المميّزة بوقوفهم في حينه، واسترعاء الانتباه الى روعة المواقف المدهشة وتجنّب الضجة المزعجة التي تذهب برونقها.

كاثوس : هناك اساليب خاصة لإبراز روائع الشعر أمام المشاهدين الذوّاقين. ما دامت هذه الأعمال لا تساوي إلّا ما نحسن نحن تبيين أحلى ما تشتمل عليه من المزايا الجوهرية.

مسكاري : فما رأيكما يا آنساتي الكريمتان ؟ هل ما ابديته لكما يحوز رضاكما ؟

كاثوس : كل الرضى.

مسكاري : اذاً تمّ الاتفاق على ما ذكرنا.

مكْدَلون : اتفاق شامل يبرهن على تطابق اذواقنا الفريدة.

مسكاري : والآن، ما رأيكما بهندامي ؟

مكْدَلون : كل ما فيه يدل على الأناقة.

مسكاري : ارجوك أن تعلمي أني أنتقي ملابسي كلها من أفخم المخازن.

مكْدَلون : لا مجال للنكران أن حُسْن الإختيار يتجلّى في زيّها وألوانها.

مسكاري : أنظري، بربّك، ما أبهي هذين القفازَيْن.

مكْدَلون : حقاً، هما من أفضل الأصناف.

كاثوس : انا لم ابصر أظرف منهما.

مسكاري : وما رأيكما بهذه ؟ (يطلب منهما أن يشمّا رائحة شعره المستعار).

مكْدَلون : هذا حتماً من أجود المصنوعات التي تلفت النظر ببهاء لونها.

مسكاري : أنت لم تبيّني لي رأيك في لون ريشات قبعتي. فكيف تجدينها ؟
كاثوس : جميلة للغاية.
مسكاري : هل تدرين ان كل واحدة منها كلّفتني ليرة ذهبية ؟ لأن من طبعي، عامةً أن أفضّل دائماً أحلى ما ألاقيه في الأسواق.
مكْدَلون : أؤكد لك أن أذواقنا متطابقة في كل المجالات. لأني أنا ايضاً أبحث، دائماً في ما ارتديه، عن أروع المستجدّات، حتى أني لا أرضى بأن اقتني إلّا أفخر الجوارب.
مسكاري (يهتف فجأة) : هاي، هاي. مهلاً. اراك تتفرّدين في احتكار كل الروائع، وهذا يدل على الأنانية وحب الظهور.
كاثوس : ماذا تقول ؟ ماذا دهاك ؟
مسكاري : هل انقلبتما كلتاكما معاً في آن واحد على ما اظهره من ميولي وحسناتي ؟ فهاجمْتُماني يميناً ويساراً. هذا يخالف أبسط حقوق الانسان، فمالت كفّة الميزان الى جهتكما، وعليّ أن أطالب بإنصافي.
كاثوس : لا بد لنا من الاقرار بأنك تعرض امورك بطريقة خاصة.
مكْدَلون : وان لك اسلوباً فريداً من نوعه يستحق الاعجاب.
كاثوس : وانك تخاف على سمعتك اكثر ممّا تخشى بوادر ما قد يلحق بك من شرّ، لذا تستنجد قبل أن ينالك اي أذى.
مسكاري : لماذا تبالغين هكذا ؟ فلقد تخدّش شعوري لمجرّد تصريحاتك بهذا المعنى.

المشهد العاشر

ماروت ومسكاري وكاثوس ومكدلون.

ماروت : خارجاً، شخص يطلب مقابلتك، يا سيدتي.
مكْدَلون : من هو ؟
ماروت : الفيكونت جوذْلي.

مسكاري : الفيكونت جودلي ؟
ماروت : نعم، يا سيدي.
مسكاري : هو من أعزّ اصدقائي.
مكْدَلون : أدخليه حالاً.
مسكاري : لم نتقابل منذ بعض الوقت، وانا مسرور بمجيئه.
كاثوس : ها هوذا.

المشهد الحادي عشر

جودلي ومسكاري وكاثوس ومكدلون وماروت.

مسكاري : أهذا انت، يا فيكونت ؟
جودلي (يتعانقان) : وانت، يا مركيز ؟
مسكاري : كم أبهجتني مقابلتك.
جودلي : وانا سرني جداً وجودك هنا.
مسكاري : عانقني اذاً مرة ثانية، من فضلك.
مكْدَلون : الآن لمست اننا أحرزنا شهرة واسعة. فها هم كبار القوم يتواردون لزيارتنا.
مسكاري : يا آنستايَ، اسمحا لي بأن أقدّم لكما هذا الوجيه الفاضل. صدّقاني، انه يستحق ان تتعرّفا الى سموّ مقامه.
جودلي : زيارتكما هي بالنسبة اليّ من أوجب الواجبات. لأن جاذبيتكما تفرض على كل من يحترم نفسه من الطبقة العليا أن يُعجَب بصفاتكما وأفضالكما.
مكْدَلون : انت تمعن الى أبعد الحدود في إغداق المديح والثناء علينا.
كاثوس : حقاً ان يومنا هذا يستحقّ ان يسجّل في مذكّراتنا كأسعد ايام حياتنا.
مكدلون (لألْمنْزور) هيا، يا خادمنا الصغير، تحرّك. هل يتوجب ان نكرر عليك

باستمرار ما يتحتم أن تفعله من تلقاء ذاتك ؟ ألا ترى أن هذا السيد المحترم بحاجة الى مقعد وثير ليستريح عليه ؟

مسكاري : لا تتعجّبا من رؤية الفيكونت على هذا الحال. فقد غادر منذ فترة فراش المرض الذي ترك آثاره بظهور الشحوب على محياه كما تلاحظان ذلك جيداً.

جودلي : هذا ناجم عن تكرار السهرات في البلاط الملكي وعن توابع الحرب.

مسكاري : هل تعلمان، يا سيدتاي، انكما تنعمان الآن بمشاهدة أحد أبرز رجال عصرنا ؟ حقاً، هو انسان نادر الشجاعة.

جودلي : انت تبالغ ايها المركيز. وانا ايضاً على اطلاع تام بمقدرتك في اتيان جليل الأفعال.

مسكاري : طبعاً، كلانا تلاقينا معاً في عدّة مناسبات شهيرة.

جودلي : وفي أمكنة سادت عليها الحرارة الشديدة.

مسكاري (ينظر الى كاثوس ومكدلون) : أجل، لكن ليس أحر من هذا المكان. أليس كذلك ؟

جودلي : لقد عرف أحدنا الآخر في صفوف الجيش. واول مرة تلاقينا فيها كان صديقي المركيز مسكاري قائد فرقة الخيّالة، وكنا حينذاك على متن السفينة الحربية « مالطة ».

مسكاري : هذا صحيح. وكنت أنت قد شغلت هذا المنصب قبل أن اتقلّده انا. وأتذكّر حين كنت لا أزال ضابطاً صغيراً، أنك كنت أنت قائداً كبيراً تحت أمرتك ألفان من الخيّالة.

جودلي : الحرب واسعة المجال. أمّا البلاط الملكي فلا يكافئ اليوم كما يجب أشخاصاً مخلصين نشيطين مثلنا.

مسكاري : وهذا ما دعاني الى الانسحاب من الجيش وتعليق سيفي على الحائط.

كاثوس : لا تستغربا إن بحت لكما بأن لي ميلاً شديداً الى اصحاب السيوف.

كورْجيبوس : أنا أيضاً أحبّهم. غير أني أرغب في ان تتحلّى الشجاعة بانفتاح الذهن ايضاً.

مسكاري : هل تتذكّر، ايها الفيكونت، كيف انتزعنا الحصن من الاعداء اثناء حصار مدينة أرّاس ؟

جودلي : ماذا تعني بالحصن الذي كان بالحري قلعة منيعة ؟

مسكاري : أعتقد أن الحقّ الى جانبك.

جودلي : هذا ما أتذكّره جيداً جداً. لأني أُصِبتُ هناك بجرح في فخذي على أثر انفجار قنبلة يدوية، وها هي آثار الجرح لا تزال ظاهرة. ارجوكِ، يا آنستي، أن تلمسيه لتقدّري كم كانت الإصابة عنيفة.

كاثوس (**بعد ان لمست آثار الجرح**) : لا سبيل الى الانكار أنه جرح عميق جداً.

مسكاري : هات يدكِ الآن، يا آنستي، والمسي جرحي هذا الذي أُصبت به في قفا عنقي. هل وصلتِ اليه ؟

مكْدَلون : اجل، انا احسّ بأن هناك أثراً بليغاً.

مسكاري : لقد تلقيت ضربة بندقية اثناء آخر معركة خضتها.

جودلي (**يكشف صدره**) : وهذه إصابة اخرى اخترقت جسمي اثناء هجوم موقعة « كرافْلين ».

مسكاري (**يضع يده على حافّة جزمته العالية**) : اودّ ان اريك جرحاً بليغاً آخر.

مكْدَلون : لا حاجة الى ذلك. فأنا اصدّق قولك بدون أن أرى.

مسكاري : كل هذه الآثار إشارات مشرّفة تبرهن على قِيَم صاحبها.

كاثوس : نحن لا نشك بما أنتما عليه من المكانة المرموقة.

مسكاري : ايها الفيكونت، هل تنتظرك عربتك خارجاً ؟

جودلي : لماذا ؟

مسكاري : لكي نصطحب هاتين السيدتين الى نزهة طريفة، ونقدّم لكل منهما هدية تليق بها.

مكْدَلون : لا نستطيع أن نخرج اليوم.

مسكاري : اذاً لنستمع الى عزف الكمان هنا ونرقص.

جودلي : لعمري، هذا عرض طريف جاء في محله.

مكْدَلون : اذاً ما علينا إلّا أن نوافق. لكننا نحتاج الى مزيد من الأشخاص.

مسكاري : لدينا الشمبانيا والنبيذ البيكاردي والبوركوني والكسْاري والباسْكي والفرْدوري واللوراني والبروفنْسي والفيوليتي ... ولتحمل الشياطين كل الخدّام. انا لا أعتقد بأن في فرنسا وجيهاً تُقدَّم له خدمة أسوأ من التي تنوبني. إذ أن هؤلاء الأوغاد لا يلبثون أن يغادروني ويتركوني وحيداً.

مكْدَلون : يا ألْمنزور، قل لجماعة هذا السيد أن يذهبوا ويستدعوا عازفي الكمان، وادعوا هؤلاء السادة والسيدات الى هنا ليزيلوا الوحدة عن حفلتنا الراقصة. (يخرج ألْمنْزور).

مسكاري : ما رأيك في هذه العيون، يا فيكونت ؟

جودلي : بل ما قولك فيها أنت، يا مركيز ؟

مسكاري : أنا أتوقع أن لا تخرج معنوياتنا من هنا نقيةً طاهرة كما دخلنا هذا المنزل. من جهتي، أُحسّ بأن قلبي يخفق بشكل غير مألوف، ولا أعتقد أني سأنجو سالماً من الشِباك المنصوبة لنا.

مكْدَلون : كم أنت صادق في تصريحك عن انفعالات طبيعة الرجال، وفي وصفك اياها بأدقّ التعابير.

كاثوس : لا شك في أنه يترجم ردّة فعل المشاعر البديهية.

مسكاري : ولكي أُثبت لكما رهافة إحساسي، اليكما هذا الارتجال. (يتأمل قليلاً).

كاثوس : يلذّ لي ان افعل انا مثلك. لكني أشعر الآن بجفاف قريحتي نظراً الى ما أجهدت به فكري من العطاءات مؤخراً.

مسكاري : ما هذا التصريح الخطير. أنا أستسهل دوماً نظم مطلع القصيدة التي أبتكرها ولا سيما أول بيت منها، ثم أستصعب نظم باقي الأشعار. غير أن الوضع محرج بالنسبة الى ما يتطلبه من الاستعجال وسرعة الخاطر. مع ذلك سأرتجل لكما طبعاً ابياتاً فصيحة بليغة لا بد ان تنال إعجابكم.

جودلي : قريحته سيّالة كأن شيطان العَروض يُنزِل عليه أغزر الوحي وأبهجه.

مكْدَلون : طبعاً، في ميادين الغزل الرقيق وانسياب القوافي.

مسكاري : ارجوك، يا فيكونت، ان تقول لي هل مضى عليك زمن طويل بدون ان تشاهد الكونتيس.
جودلي : لم أزرها منذ اكثر من ثلاثة اسابيع.
مسكاري : هل تعلم ان الدوق جاء يزورني هذا الصباح، وأراد أن يصطحبني معه الى الريف لأشاركه في صيد الغزلان ؟
مكْدَلون : ها هنّ صديقاتي قد أتَيْنَ.

المشهد الثاني عشر

جودلي ومسكاري وكاثوس ومكدلون وماروت ولوسيل.

مكْدَلون : يا الهي، استميحكنّ عذراً، يا عزيزاتي. لقد شاء هذان السيدان ان يضعا بتصرفنا عازفي الكمال لإتحافنا ببعض ألْحان الرقص. فأرسلنا في طلبكّن لملء الفراغ في اجتماعنا هذا بغية إقامة حفلة رقص شيّقة.
لوسيل : وقد سرّتنا هذه الدعوة بدون شك وسرعان ما لبّيناها.
مسكاري : هذه حفلة تقام على عجل. غير أننا ننوي أن ندعوكنّ في الأيام القليلة المقبلة الى حفلة أطرب وأبهج منها. هل وصل عازفو الكمان ؟
ألْمنْزور : أجل، يا سيدي، لقد حضروا الى هنا منذ لحظة.
كاثوس : هيا بنا اذاً، يا عزيزاتي، نجلس بعض الوقت ونستعدّ للرقص.
مسكاري (**يرقص وحده كمقدمة لبدء الحفلة وهو يُدَمْدِم**) : لا، لا، لا. لا، لا، لا.
مكْدَلون : ما أهيف قامته، وأرشق قدميه !
كاثوس : يبدو عليه أنه يتقن الرقص جيداً.
مسكاري (وقد طوّق خصر مكدلون ليراقصها) : استميح مراقصتك على هذا اللحن الجميل. كمْ يسيطر الجهل على هؤلاء الراقصين الذين لا يلمّون بخطواتهم كما يجب. لتحملْهم العفاريت، لأنهم لا يميّزون وقع الحركات الضرورية. لا، لا، لا. لا، لا، لا. عليكم أن تشدّدوا الايقاع، ايها العازفون القرويون.

جودلي (يباشر الرقص) : ما بالكم تستعجلون في نقل خطواتكم بأسرع مما يقتضيه اللحن المعزوف ؟ فأنا لم أغادر فراش المرض إلا منذ برهة وجيزة.

المشهد الثالث عشر

دي كراوزي، ولاكرانج ومسكاري، وجودلي.

لاكرانج (**والقضيب بيده**) : ماذا تفعلان هنا، ايها الوغدان، ونحن نبحث عنكما منذ ثلاث ساعات ؟

مسكاري (**يشعر بثقل الضربات المنهالة عليه**) : آي، آي. لم يقل لي أحد ان الضربات ستكال لي ها هنا.

جودلي : هذا نصيبك، يا دجّال. وقد شئت أن تتظاهر بأهميّة عظماء الرجال.

دي كرْوَازي : لقد حلّ بك ما يعرّفك قيمة نفسك. (يخرجون).

المشهد الرابع عشر

مسكاري، وجودلي، وكاثوس، ومكدلون.

مكْدَلون : ما معنى هذا التصرف غير المألوف ؟

جودلي : هذا رهان غريب.

كاثوس : ماذا تقول ؟ وكيف تركت الضربات تنهال عليك ؟

مسكاري : يا إلهي. لم أشأ أن أمانع، لأني حادّ الطبع وسريع الغضب.

مكْدَلون : وكيف أمكنك السكوت عن هذه المذلّة اثناء حضورنا ؟

مسكاري : هذا لا يهمّ. لنقف عند هذا الحدّ. إننا نعرف بعضنا بعضاً منذ زمن بعيد، وبين الأصحاب لا سبيل الى الشجار بسبب امور تافهة.

المشهد الخامس عشر

دي كروازي، ولاكرانج، وجودلي، ومسكاري.
ومكدلون وكاثوس وعازفوا الكمان.

لاكرانج : أنا أعِدُكم بأني لن أدَعَكم تهزأون بي بعد الآن، ايها الحمقى. أدخلوا انتم ايضاً. (يدخل ثلاثة أو أربعة من القتلة المأجورين).

مكْدَلون : ما هذه الجسارة التي دعتكم الى الإقبال علينا لإزعاجنا هكذا في عقر دارنا ؟

دي كرْوَازي : كيف رضيتما، يا سيدتاي، بأن تعاملا خادمَيْنا معاملة افضل مِنّا شخصيّاً، وتدعاهما يجسران على مغازلتكما ومناجاتكما على حسابنا، ويقيمان لكما ولصديقاتكما هذه الحفلة الراقصة ؟

مكْدَلون : خادميكما انتما ؟

لاكرانج : اجل، خادمَيْنا نحن، ولا نجد أي شرف أو لياقة في أن تمازحاهما وتشاركاهما المجون كما فعلتما.

مكْدَلون : حقاً، هذه وقاحة لا تُطاق.

لاكرانج : غير أنهما لن يحظيا بميزة استخدام ملابسنا نحن سيّدَيْهما لكي يخدعاكما بمظاهرهما الكاذبة على هذا النحو. وإن شئتما أن تسلّياهما يكون ذلك من قِبَلكما اكراماً زائفاً لعينيهما البلقاوين. هيّا بنا نجرّدهما حالاً ممّا استعاراه خلسة من ملابسنا.

جودلي : وداعاً، يا اناقتنا الموقّتة العابرة.

مسكاري : لقد إمْتَهنا منصبينا كمركيز وفيكونت، ومرّغاهما في الأوحال.

دي كرْوَازي : تبّاً لكما من وغدين سافلين تجاسرتما على الادّعاء بمقامينا لتنالا حظوة في عيني هاتين الحسناوين. أؤكد لكما أنكما ستدفعان ثمن هذه الجسارة والاستخفاف غالياً.

لاكرانج : لا يسعنا أن نتحمّل إنتحالكما شخصيّتَيْنا ومنصبَيْنا واستعارة ملابسنا لهذه الغاية المنحطّة.

مسكاري : ما أتعس حظّنا العاثر الذي أوصلنا الى هذا الموقف الذليل.
دي كرْوَازي : هيّا بنا نخلع عنهما كل ما يسترهما.
لاكرائج : خذا هذه الأسمال وابعداها بسرعة عن هذا المكان. والآن، يا سيدتاي، يمكنكما أن تواصلا غراميّاتكما وتتدهورا الى أسفل المنحدر الذي ستتدحرجان عليه كما تشاءان الى أن تُدركا قعر الهاوية. اذ نترك لكما حرية التمرّغ في الأوحال ونحن نؤكد لكما، أنا وهذا السيد الأبيّ اننا سنكون بعيدَيْن عن الغيرة بُعد الأرض عن السماء.
كاثوس : ما هذه الفوضى وهذا الشغب ؟
مكْدلون : انا أكاد أموت من شدة قهري وانفعالي.
عازفو الكمان (للمركيز) : ما هذه المهزلة ؟ من سيدفع لنا أجرنا ؟
مسكاري : إسألوا سيدي الفيكونت.
عازفو الكمان (للفيكونت) : من سيدفع لنا ما نستحقه من الماء لقاء عملنا ؟
جودلي : إسألوا سيدي المركيز.

المشهد السادس عشر

كورجيبوس ومسكاري وجودلي ومكدلون وكاثوس وعازفو الكمان.

كورْجيبوس : تبّاً لكما من لئيمَيْن وضعتمانا في مأزق حرج على ما أرى، وقد إطلعتُ الآن على قضايا غريبة حقّاً صدرت عن هذين السيدَيْن.
مكْدلون : أؤكد لك، يا والدي، انهما مثّلا حيالنا رواية مأساوية.
كورْجيبوس : أجل، رواية مأساوية مكربة، تسنّى تمثيلها بسبب حماقتكما، ايتها الجاهلتان الدعيّتان. إذ لذّ لبطليها ان يستغلّا المعاملة المتمادية التي خصَصْتاهما بها. ومع ذلك، عليّ أنا المنكود الحظ أن أتحمل المذلّة التي نجمت عنها من جرّاء غبائكما.

مكْدَلون : أقسم لك، يا أبي، اني سأنتقم منهما شرّ انتقام، أو يقضي عليّ ما أذاقاني اياه من عذاب وقهر. وأنتما أيها المحتالان الدجّالان، هل تجسران على البقاء ها هنا بعد الآن، رغم وقاحتكما وخساستكما ؟

مسكاري : هل تعاملين هكذا سيادة المركيز ؟ هذا حقّاً سلوك المجتمع العصري المشين الذي يجعل الانسان يزدري بأعزّ القِيَم السامية. هيّا، يا صاح، نذهب ونبحث عن حسن الطالع في مكان آخر، لاني لا أجد هنا إلا الغرور وحبّ المظاهر الخداعة بعيداً عن تقدير الفضيلة والتجرّد عن أباطيل الدنيا.

(يخرج الأثنان).

المشهد السابع عشر

كورجيبوس ومكدلون وكاثوس وعازفو الكمان

عازفو الكمان : نحن بانتظار ان ترضينا عوضاً عنهما، وأن تدفع لنا أجر عزفنا ها هنا.

كورجيبوس (يضربهم) : نعم سأرضيكم، وهذه هي العملة التي تستحقونها. وأنتما ايتها الفتاتان اللتان تستحقّان الشفقة، لست ادري من يمسك بي ويمنعني عن أن أدفع لكما بالعملة ذاتها. وقد جعلتماني اضحوكةً وموضوع سخرية بين الناس. فإليكما بجزاء ما جلبتماه على رأسي ورأسيهما ايضاً من الحقارة بسوء تصرفاتكما. إمضيا واختبأ ايتها المستهترتان الغبيّتان وتواريا عن نظري الى الأبد. ولأنكِ تسبّبتي ببوادر الهوس، يا ايتها المتبجّحة البلهاء، والتسليات المستهترة التي تتقنها الغرائز الهزيلة الشاردة في الروايات والأشعار والأغاني والمسرحيات، أتمنى أن تحملكِ شياطين الجحيم الى النيران المتاججة اللهيب بلا انقطاع، لتنالي جزاء ما زيّنته لابنتي ولابنة اخي من حماقة الغرور وبلاهة الاستعلاء والتغافل عن جوهر الحياة.

(تمّت)